مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد الثالث عشر ربيع الثاني- جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ / يونيـة - أغسـطس ٢٠٠٥م

- المـدينـة المنـورة في النـص الرِحـلي
- أحواش المدينة المنورة مقاربة وصفية
- أثر الأوقاف على الحياة الدينية والاجتماعية في المدينة في العصر المملوكي
- طريق الحج الحلبي في العصر المملوكي

١٣

عثرة لغوية مفتعلة تشوش على الفهم

د.عبد البديع حمزة زللي

أستاذ بكلية العلوم في جامعة طيبة بالمدينة المنورة

مقدمة

من المعروف للجميع أن لغة القرآن الكريم أصبحت تواجه في هذا العصر وخاصة في السنين الأخيرة منه مشكلات مختلفة، يتمثل معظمها في ذلك الزحف العظيم من المصطلحات العلمية ذات الأصل الأجنبي التي أخذت تكتب بالعربية حسب لفظها الأجنبي مع تحوير بسيط في نطقها[1] ودخول كثير من الكلمات الأجنبية فيها، إضافة إلى تلك المشكلات التي ربما أخذت تواجهها هذه اللغة من بعض اللغويين المعاصرين حول العثرات اللغوية المفتعلة.

ولكي نكون بعيدين عن الوقوع في العثرات اللغوية، وسعياً منَّا نحو تقويم اللسان فقد أصبحنا اليوم وبهذه الحجة نسمع أو نقرأ في وسائل الإعلام العربية المختلفة كلاماً يُخيَّل إليك أنك تسمعه من امرئ أعجمي لا يتقن العربية، فحُوِّل فيه المؤنث مذكراً، وعُطِّلت في بعضه ميزة الاشتقاق والنسبة. والأمر الخطير أن بعض الألفاظ العربية الصحيحة المذكورة في القرآن والأحاديث النبوية الشريفة والمعاجم اللغوية أخذت تختفي من قواميس بعض وسائل الإعلام، بل ربما أنكر عليك البعض استخدام هذه الألفاظ كلفظة رئيسي ورئيسية ولفظة فعَّال؛ وأنكر القول عليك أيضاً إن أنثت اللقب التعليمي (الأكاديمي) وقلت مثلاً:

صباح أستاذة مشاركة في قسم اللغة الإنجليزية

لقيل لك إن في قولك هذا عثرة لغوية، وُصوِّبَ لك هذا الكلام وُنصحت بأن تقول:

صباح أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية

---

(١) (زللي ١٤٢٤هـ ب).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهكذا هو الحال بالنسبة للألقاب التعليمية (الأكاديمية) الأخرى، كمحاضرة ، ومعيدة ... الخ ، أو الوظائف الجامعية ، كعميدة ، أو رئيسة قسم ... الخ ، فهم يعيبون تأنيث هذه الألقاب ، ويرون أنه ينبغي أن تكون جميعها في صيغة المذكر . وهذا الأمر يشوه كثيراً لغة القرآن الكريم ، التي تميزت عن غيرها من اللغات الأخرى ؛ إذ ينبغي أن تُؤنث الألقاب في حالات التأنيث ، وتذكر في حالات التذكير ، لئلا تحتاج إلى السؤال عن معرفة الشخص الذي تتحدث عنه أهو ذكر أم أنثى ، وخاصة بالنسبة للأسماء التي تُطلق على الذكر والأنثى كصباح ورجاء وزين ... الخ .

وموضوعنا في هذا البحث يتعلق بعثرة لغوية مفتعلة أخرى تتمثل في لفظة **استفاد** وما اشتق منها من كلمات مثل **استفادة ومستفاد** .

لقد عرف الناس عموما قبل إثارة صيحات التصحيح اللغوية في السنين الأخيرة من هذا العصر مفهوم لفظة **استفاد** ، وما اُشتُقَ منها من كلمات ، فمضمون **استفدْتُ** مثلاً ، عُرِفَ أنه يعني أخذك وامتلاكك الفائدة ، سواء كانت هذه الفائدة تتمثل في المال أو العلم أم غيره ، ومضمون **أفدْت** يعني إعطاؤك الفائدة لغيرك ، غير أن بعض اللغويين المعاصرين يرون أن الاستخدام الشائع للفظة **استفاد** هو من العثرات اللغوية ، وأن اللفظة الصحيحة التي تدل على امتلاك الفائدة والحصول عليها هي لفظة **إفادة** ، لذا لو قلت مثلاً:

ينبغي علينا الاستفادة من هذه الكتب لنتزود من العلم الموجود فيها.

لقيل لك هذا الكلام فيه عثرة لغوية، فَقلْ :

ينبغي علينا الإفادة من هذه الكتب ...

ولو قلت أيضاً :

هذا الرجل استفاد من مال أخيه .

لقيل لك صحح كلامك وقلْ :

هذا الرجل أفاد من مال أخيه .

فهم يرون حسب رأيهم أن لفظة **استفاد** بمعنى طَلَب الفائدة ، فهي على وزن استفعل ، كقولك استغفر أي طلب المغفرة ، وقولك استمطر أي طلب المطر . وهذا الأمر قد سبب نوعاً من التشويش على الفهم ؛ إذ ربما لا يدل سياق الكلام

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

على المضمون المقصود من لفظة **أفاد** ، فهل المقصود منها إعطاء الفائدة لأحد ما ؟ أو أخذها وامتلاكها ؟

ولو رجعنا إلى الأحاديث النبوية الشريفة وكتب شرحها ، وإلى المعاجم اللغوية ، وإلى كتب الفقه ، وإلى أشعار العرب ، لوجدنا ما يؤكد ويعمق مفهوم لفظة **استفاد** الذي عرفه الناس والذي يدل معناه على أخذ الفائدة وامتلاكها .

معنى استفاد :

نستعرض في ما يلي بعضًا مما ورد في الأحاديث النبوية وشيئاً من أقوال علماء اللغة وبعض الأشعار التي وردت فيها هذه اللفظة وما اشتق منها من كلمات ، لتكون شواهد متنوعة تدلنا على مفهومها ومضمونها المعروف وتؤكده :

ورد حديث في صحيح الإمام البخاري[١] رحمه الله: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر تصدق بمال له على عهد رسول ﷺ ، يقال له ثَمْغٌ ، وكان نخلاً ، فقال عمر ﷺ : يا رسول الله إني **استفدت** مالاً وهو عندي نفيس فأردت أن أتصدق به ... ، ويدل قول أمير المؤمنين ﷺ : « إني استفدت مالاً » على أن هذا المال كان يملكه وبحوزته ، وكان عزيزاً عليه . لقوله : « وهو عندي نفيس » ولكن من أجل الأجر والمثوبة أراد أن يتصدق به .

ورد حديث في جامع الإمام الترمذي رحمه الله[٢] عن ابن عمر رضي الله عنهما : قال رسول الله ﷺ : « من استفاد مالاً فلا زكاة عليه حتى يحول عليه الحول » .

شرح ابن منظور[٣] في كتابه لسان العرب معنى **الاستفادة** التي وردت في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الرجل يستفيد المال بطريق الربح أو غيره ، قال يزكيه يوم يستفيده فقال أي يوم يملكه .

استخدم علماء اللغة المشهورين كأبي زيد والكسائي والجوهري وابن فارس والفيومي وابن منظور والفيروزآبادي في معاجمهم اللغوية المشهورة ، وغيرهم

---

(١) ابن حجر مج٥ ص ٤٦٠ حديث رقم ٢٧٦٤ .

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي مج ٣ حديث رقم ٦٢٦، وحديث ٦٢٧ وفيه زيادة حتى يحول عليه الحول عند ربه، وورد هذا الحديث بنفس اللفظ في سنن ابن ماجه حديث رقم ١٧٩٢ .

(٣) لسان العرب ، مادة فيد مج ٣ ص٣٤٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لفظة **استفاد ويستفيد ومستفاد** للدلالة على امتلاك واكتساب الفائدة ، ومن ذلك على سبيل المثال :

قول أبي زيد : **الفائدة ما استفدت** من طريفة مال من ذهب أو فضة أو مملوك أو ما شابه، وقول الجوهري: **الفائدة هي ما استفدت** من علم أو مال ؛ وقال المباركفوري في معنى المال المستفاد : هو المال الذي حصل للرجل أثناء الحول من هبة أو ميراث أو مثله[١] .

ورد مضمون **استفاد** في المعجم الوسيط بمعنى الحصول على **الفائدة** وامتلاكها فجاء فيه: استفاد المال وغيره: أي حصله واقتناه[٢] .

وأما عن ورود لفظة استفاد ويستفيد في الشعر، فنكتفي بذكر بيت لعنترة بن الشداد، وهو معروف أنه من الشعراء الجاهليين، وببيت لبشَّار ابن برد، وببيت لابن الخياط.

ففي قصيدة مطلعها :(لغير العُلا مني القلى والتجنب) ، قال عنترة بن الشداد :

ملكت بسيفي فرصةً ما استفادها من الدهر مفتول الذراعين أغلبُ[٣]

وفي قصيدة مطلعها : (اسمعي يا خُليد أنتِ الخلود) ، قال ابن برد :

قد عصاني قلبي إلى من عصاه فاستفاد الهوى وما يستفيد

وفي قصيدة مطلعها : (أيام دهرك كلها أعياد) ، قال ابن الخياط:

لقد استفاد بك الزمان فضيلة ما خالها أَبَدَ الزمانِ تُفاد

وندرك مما سبق ذكره أن معنى استفاد يدل بكل وضوح على أخذ الفائدة والحصول عليها وامتلاكها، وأن استبعاد هذه اللفظة وإبدالها بلفظة أفاد ليس له أي داع، بل ربما سبب نوعاً من التشويش على الفهم كما أشرنا سابقاً ؛ لأن مضمون لفظة أفاد يدل على معنيين مختلفين سنوضحهما في ما يلي :

---

(١) لسان العرب ج٣/ص ٣٤١ ، كلام الجوهري .

(٢) المعجم الوسيط ج٢/ص ٧٠٥ .

(٣) ديوان عنترة ص١٢ [ط ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥هـ] .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

معنى أفاد :

جاء في الصحاح ولسان العرب والمصباح المنير ما ذكره أبو زيد والكسائي: أفَدْتُ المال أي أعطيته غيري، وأفَدْتُه أي استفدته ؛ وذكر ابن فارس في كتابه مجمل اللغة معنى الفائدة فقال: يقال أفَدْتُ غيري ، وأفدْتُ من غيري .

ذكر ابن منظور[1] معنى الفائدة فقال : « الفائدة ما أفادَ اللّه تعالى العبد من خير يستفيده ويستحدثه ، وجمعها فوائد » .

ونجد في هذا النص أن لفظة أفاد تعني تماماً إعطاء الفائدة للإنسان وليس اكتسابها فاللّه سبحانه وتعالى هو المانح المعطي وليس المستفيد .

وفي قصيدة مطلعها : « أماطت لثاماً عن أقاصي الدمائث » ، قال محمد ابن الحسن ابن دريد ، وقيل عنه أنه أشعر العلماء وأعلم الشعراء

أفِدْ ما استفادته يداك فإنه عليك إذا لم تَمضِه غير ماكث

يوضح هذا البيت بجلاء تام أن معنى من استفاد هو من ملك فائدة ، فقوله : « أفِدْ » – وهي فعل أمر – تعني أعط الفائدة لغيرك ، في حين يدل قوله : « ما استفادته يداك » على أن الاستفادة هنا تعني امتلاك الفائدة . فإن لم تفد غيرك وتعطه ما قد استفدته من مال أو علم فإن بقاءه أو مكوثه لديك غير دائم ، وسيأتي عليك يوم ويذهب عنك هذا المال أو العلم لأي سبب من الأسباب .

ويتبين لنا من جميع ما ذكرناه سابقاً أن مضمون لفظة استفاد ينحصر في أخذ وامتلاك الفائدة ، في حين أن مضمون لفظة أفاد يدل على معنيين اثنين هما :

إعطاء فائدة تملكها لغيرك وهو المعنى الرئيسي لهذه اللفظة .

أخذك وامتلاكك فائدة من غيرك .

ولذا فإن استعمال لفظة استفاد المنحصر في امتلاك الفائدة أفضل من استعمال لفظ أفاد في ذلك المعنى لئلا يؤوي إلى عدم فهم المقصود .

وقد تنبه بعض علماء اللغة إلى هذا الأمر منذ أكثر من سبعة قرون خلت ، فقال الفيومي المقري في معجمه المصباح المنير :

« استفاد مالاً استفادة ، وكرهوا أن يقال أفاد الرجل مالاً إفادة إذا استفاده» .

---

(١) (الزركلي):خير الدين الزركلي، الأعلام، ط٣، ١٣٨٩هـ خير الدين، بيروت ، مج ٦ ص ٣١٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وخلاصة القول تتركز في أن لفظات استفاد واستفادة ومستفاد هي لفظات صحيحة استخدمت في الأحاديث النبوية وفي شرح معاني كلماتها ، و في المعاجم اللغوية ، وأن مضمونها يدل تماماً على أخذ الفائدة وامتلاكها واكتسابها ، في حين يدل مضمون لفظة أفاد أو إفادة على إعطاء الفائدة لإنسان ما أو غيره ، وتدل أيضاً على أخذ الفائدة واكتسابها ، غير أن سياق الكلام هو الذي يدل على مضمونها المقصود .

وبناءً على ذلك فإن كان المقصود من الكلام يحتاج إلى لفظة تدل على أخذ الفائدة وامتلاكها ، فإن لفظة استفاد أو الاستفادة ، ... هي الأدق في التعبير والأكثر وضوحاً ، أما إن كان المقصود من القول هو إعطاء فائدة لإنسان ما أو غيره ، فلفظة أفاد أو الإفادة ، ... تعتبر هنا هي الأفضل والأكثر إيضاحاً بالمقصود .

وأخيراً نعود ونقول إن استبعاد لفظة استفاد أو الاستفادة إضافة إلى كونه يشوش على الفهم ، فهو أيضاً يحرم لغة القرآن ألفاظاً هي موجود في أصولها .

والله أعلم .

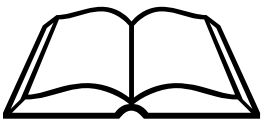

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة